الدرس 2

فضائل القرآن وأثره على قارئه

أهداف الدرس

- أن أتعرف بعض فضائل القرآن الكريم وصفات قارئه.
- أن أدرك أهمية تعظيم القرآن الكريم والتمسك بأحكامه.
- أن أواظب على قراءة القرآن وتدبر آياته.

تمهيد

القرآن الكريم كلام الله تعالى، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، أنزله هدى ورحمة للعالمين، فجمع من الفضائل أسماها، ومن الحقائق أسناها، ومن الثمرات أزكاها، ومن المراتب أعلاها. فماهي فضائل القرآن الكريم؟ وما هي صفات قارئه؟ وما ثمرات تلاوته؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

10- وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ *** وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ

11- وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ *** وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاَ

12- وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ *** مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنَاً مُتَهَلِّلاَ

13- هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً *** وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى

14- يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ *** وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصِّلاَ

15- فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً *** مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ

16- هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا *** مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلاَ

17- فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ *** أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلاَ

18- أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ** حُـلاَهُـمْ بِـهَـا جَـاءَ الْـقُـرَانُ مُفَصَّلاَ
19- عَلَيْـكَ بِهَا مَـا عِشْتَ فِيهَـا مُنَافِساً ** وَبِـعْ نَفْسَـكَ الدُّنْيَـا بِأَنْفَاسِهَـا الْعُـلاَ

الفهم

الشرح:

وَأَغْنَى غَنَاءٍ: وأكفى كفاية.

يَرْتَاعُ: يفزع.

سَنَاً: السنى بالقصر الضوء، وبالمد الشرف والرفعة.

مُتَهَلِّلاً: المتهلل الباشُّ المسرور.

هَنِيئاً: الهنيء الذي لا آفة فيه والمحمود الطيب المستلذ الخالي من المنغصات.

مَرِيئاً: المريء: المأمون الغائلة المحمود العاقبة المنساغ في الحلق.

بالنَّجْلِ: النجل النسل كالولد، يقع على المفرد والجمع.

استخلاص المضامين:

- أقسم الأبيات إلى مقاطع، ثم أحدد مضمون كل مقطع.

التحليل

اشتملت هذه الأبيات على ما يأتي:

أولا: بعض فضائل القرآن الكريم

أشار الناظم رحمه الله إلى بعض فضائل القرآن، فقال:

وَإِنَّ كِـتَـابَ اللـهِ أَوْثَـقُ شَافِـعٍ *** وَأَغْنَـى غَـنَـاءٍ وَاهِـبـاً مُـتَـفَـضِّـلاَ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُـمَـلُّ حَـدِيثُـهُ *** وَتَـرْدَادُهُ يَـزْدَادُ فِـيـهِ تَجَـمُّـلاَ

تضمن البيتان من فضائل القرآن، ما يلي:

- **أنه أوثق شافع**، أي: أقوى شافع، وهو معنى قوله: «وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ»، وقد وصفه بذلك؛ لأن شفاعته مانعة لصاحبه من وقوعه في العذاب، وشفاعة غيره مخرجة له منه بعد وقوعه فيه، قال عليه الصلاة والسلام: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ». [صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة].

- **أن كفاية القرآن لصاحبه أتم من كفاية غيره**، وهو معنى قوله: «وأغنى غناء» وقوله: «وَاهِباً مُتَفَضِّلًا»، أي: زائدا في دوام هبته وبذلها على الاستمرار من غير انقطاع.

- **أنه خير جليس لحامله لا تمل تلاوته وسماعه**، وترداده يزيده أو يزيد قارئه حسنا وجمالا؛ لأنه أحسن الحديث، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:22]. والهاء في «ترداده» تعود على القرآن؛ لأنه كلما رُدِّدَ ازداد حسنا وجمالا، ويجوز أن يعود على القارئ؛ لأنه يزداد بترداده من الثواب الجزيل، وفوائد العلم الجليل، ما يتجمل به في الدنيا والآخرة.

وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ * مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنَاً مُتَهَلِّلَا**
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً * وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى**
يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ * وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصِّلَا**

أشار في هذا البيت إلى بعض فضائل القرآن على صاحبه في قبره، وهو أنه حينما يفزع في ظلمات القبر يجد ضوء القرآن يضيء قبره، وقد وصف الناظم رحمه الله القارئ بالفتوة، وهو خلق جميل يجمع أنواعا من مكارم الأخلاق، وأضاف الظلمات إلى الفتى؛ لأنها ظلمات أعماله، «من القبر يلقاه» أي: القرآن أو الفتى في حال إضاءته وبشاشته؛ لأن كل واحد منهما يلقى الآخر، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ». [صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر].

وقوله: «هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا» أي في القبر، يهْنِئ القرآنُ القارئ حالة كونه «مقيلا» والمقيل موضع القيلولة، وهي الاستراحة في وسط النهار، وأراد بها الناظم مطلق الراحة، أي: يصير القبر كالمقيل وكالروضة بثواب القرآن، والمقيل لا يكون إلا موضعا حسنا ذا ظل وراحة، و(الروضة): المكان المتسع، وقوله: «وَمِنْ أَجْلِهِ» أي: ومن أجل القرآن، «يُجْتَلَى» هذا الفتى ويبرز «في ذروة العز» وأعلى الشرف.

ويسأل القرآنُ الله تعالى أن يعطي القارئ ما يرضى به القرآن، وما أَحَقَّ الإرضاءَ المطلوب بالوصول إلى القارئ أو القرآن.

ثانيا: بيان صفات حملة القرآن

بعد أن بين الناظم رحمه الله بعض فضائل القرآن، ذكَّر ببعض صفات قارئه، وبالثواب الذي يناله والداه؛ ليحث الناس على الاقتداء بأهل القرآن في هذه الصفات، فقال:

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً * مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ**
هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا * مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلاَ**
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ * أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلاَ**

تضمن البيت الأول نداء وتنبيها لقارئ القرآن ليذكره بصفاته الحميدة المشار إليها في البيت، ويبشره بما ذكره في البيتين الموالين بعده.

وصفات قارئ القرآن المذكورة في البيت الأول هي كونه:

- متمسكا بالقرآن أي: عاملا بما فيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف:170].

- مُجِلاًّ لَهُ: معظما للقرآن.

- مُبَجِّلاَ لَهُ: تبجيل القرآن: تعظيمه وحسن الاستماع والإنصات لتلاوته.

ثم ذكَّره ببشارته فقال: «هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ....». وهو يشير بذلك إلى أن بشارة قارئ القرآن هي أن يعيش عيشا هنيئا مريئا لما يناله والداه من ثواب واحتفاء ورفعة يوم القيامة، والهنيء والمريء من أوصاف الطعام والشراب في الأصل، ثم تُجُوّز بهما في التهنئة بكل أمر سارٍّ، وأشار بذلك إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟». [سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن].

وقوله ﷺ: «فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟» استفهام المقصود به تفخيم الأمر وتعظيم شأنه، أي: ظنوا ما شئتم من الجزاء بهذا الولد الذي يكرم والداه من أجله.

وقول الناظم رحمه الله: «أولئك أهل الله. . .» يعني بذلك أن أهل القرآن هم أهل الله وصفوته وأشراف الناس من خلقه.

أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى * حُلاَهُمْ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلاَ**

أشار في هذا البيت إلى صفات أخرى لأهل القرآن، وهي كونهم جمعوا صفات الخير المذكورة، وهي البر والإحسان والصبر والتقى، منبها إلى أن هذه الصفات فصلها القرآن الكريم وبينها في كثير من الآيات، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين:22]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:194]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:146]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:18]، إلى غير ذلك من الآيات العظيمة المتضمنة لهذه المعاني.

وبعد أن بين صفات صاحب القرآن حث القارئ على المبادرة إليها والتمسك بها في حياته كلها فقال:

عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً * وَبِعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلاَ**

أي بادر إلى صفاتهم والزمها ما عشت، أي: مدة حياتك فيها «منافسا» أي: مزاحما فيها غيرك، «وبع نفسك الدنيا» أي: أبدل نفسك الدنية «بأنفاسها العُلا» أي: بطيب أرواح الأعمال الصالحة التي هي عُلا، و«الأنفاس» جمع نفَس بفتح الفاء، «والعُلا» بضم العين صفة الأنفاس.

التقويم

1. أحدد فضائل القرآن المشار إليها في المتن.
2. أبين أهم صفات قارئ القرآن التي ذكرها الناظم رحمه الله.
3. أبين بشارة قارئ القرآن، والمستند الشرعي لهذه البشارة.
4. ما هو الواجب علي لنيل فضائل القرآن وبشارته؟

الاستثمار

– **عن أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ خَلْقِهِ» قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ».

[سنن النسائي، كتاب فضائل القرآن، باب أهل القرآن].

– **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «. . . . وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. . .».

[صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر].

أتأمل الحديثين وأقوم بالآتي:

1. أبين معنى الحديثين وعلاقتهما بالمتن.
2. أستنتج أثر الحديثين على سلوك حامل القرآن.

الإعداد القبلي

– أحفظ متن الدرس القادم وأبحث في كتب التراجم والطبقات عن تعريف القراء الثلاثة (نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء) ورواتهم، وما قيل فيهم وفي قراءاتهم.